ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها

بردون سائر القادرين والله أعلم بما اراد تأويل آية أخرى ان سأل
سائل عن قوله تعالى ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا
البيوت من ابوابها فقال واي معنى لذكر البيوت وظهورها وابوابها وهل المراد
بذلك البيوت المشار اليها البيوت المسكونة على الحقيقة او كنى بهذه اللفظة
عن غيرها فان كانت الاول فما الفائدة في اتيانها من ابوابها دون ظهورها وان كانت
كناية فبينوا وجهها ومعناها الجواب قيل له في هذه الآية وجوه اولها ما
ذكر من ان الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة ولم تقض له ولم تنجح فيها رجع فدخل من
موخر البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فاعلمهم الله تعالى ان هذا من فعلهم لا بر فيه
وامرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلعم عن التطير وقال لا
عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر اي لا يعدي شيء شيئا وقال عم لا يوردن ذو عاهة
على مصح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة او مرض فلا ينبغي ان يوردها
على ابل غيره صحاح لانه متى فعل ذلك فلحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقا لا لاجل
العدوى لم يومن من صاحب الصحاح ان يقول انما لحق ابلي هذه العاهة من تلك الابل
وهي اعدت ابلي فنهى رسول الله صلعم عن هذا ليزول المأثم بين الفريقين والظن القبيح
وثانيها ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم
لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل الوبر و
كانوا من اهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا
من ابواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه
ليس من البر وان البر غيره وثالثها وهو جواب ابي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى
ليس البر بان تطلبوا الخير من غير اهله وتلتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من ابوابها
معناه اطلبوا الخير من وجهه ومن عند اهله ورابعها وهو جواب ابي علي الجبائي
ان يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل واراد ليس البر ان ياتي الرجل الشيء
من خلاف جهته لان اتيانه على خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى
الاثم والخطا وبين ان البر التقوى وامر باتيان الامور من وجوهها وان تفعل
على الوجه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وابوابها مثلا
لان العادل في الامر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه وخامسها ان تكون البيوت
كناية عن النساء ويكون المعنى واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب تسمي المراة بيتا

قال

قال الشاعر

مالي اذا انزعها صأيت   أكبر غيرني أم بيت

اراد بالبيت المراة ومما يمكن ان يكون شاهدا للجواب الذي حكيناه عن ابي علي الجبائي وللجواب عن ابي
عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمي قال املا علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي

اني عجبت لام العمر اذ هزئت   من شيب راسي وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالاقتار يقتره   ولا سعادته يوما باكثار
ان الشقي الذي في النار منزله   والفوز فوز الذي ينجو من النار
اعوذ بالله من امر يزين لي   شتم العشيرة او يدني من العار
وخير دنيا تنسي امر آخرة   وسوف يبدي لي الجبار اسراري
لا ادخل البيت احبو من مؤخره   ولا اكسر في ابن العم اظفاري

فقوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره يحتمل ان يريد به اني لا آتي الامور من غير
وجهها على احد الاجوبة في الآية ويحتمل ايضا انني لا اطلب الخير الا من اهله على جواب
ابي عبيدة ويحتمل وجها آخر وهو ان يريد انني لا اقصد البيت للريبة والفساد
لان من شان من يسعى الى فساد الحرم ويقصد البيوت للريبة ان يعدل عن ابوابها طلبا
لستر امره وكانه نفى عن نفسه هذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه بقوله ولا اكسر
في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انه لا يبدي لابن العم السوء مني ولا يتالم بشيء من جهتي
فاكون كانني جرحته باظفاري وكسرتها في لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب
ويجري مجرى هذه الابيات ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم

واني لعف عن زيارة جارتي   واني لمشنوء الي اغتيابها
اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها   زؤورا ولم تنبح علي كلابها
وما انا بالداري احاديث بيتها   ولا عالم من اي حوك ثيابها
وان قراب البطن يكفيك ملؤه   ويكفيك سوآت الامور اجتنابها

قال الشريف رضي الله عنه وقد جمعت هذه الابيات فقرا عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته
عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانه ادنى الى الريبة واخص بالتهمة فقال ولم تنبح
علي كلابها اراد انني لا اطرقها ليلا مستخفيا متنكرا فينكرني كلابها فتنبحني وهذه الكناية
تجري مجرى قول الشاعر المتقدم لا ادخل البيت احبو من مؤخره ويروى ولم تانس الي
كلابها وهذا معنى آخر كانه اراد انه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها فتانس
به كلابها لان الانس لا يكون الا مع المواصلة والموازرة وقوله ولا انا بالداري

Copyright King Saud University